بسم الله الرحمن الرحيم

- مدخل إلى تحليل الخطاب الشعري: 1- من الأدب إلى الأدبية فالخطاب:

أ

من حمى البحث في الخطاب الأدبي وصلته بالنقد، يستحوذ على اهتمامات دارسي اللغة والأدب، منذ منتصف القرن العشرين، بفضل ما قدمته الحقول المعرفية الحديثة كاللسانيات والأسلوبية والسيميائية من مصطلحات وأدوات إجرائية، أسهمت في مقاربة الأثر الأدبي، بعيدا عن المقولات النقدية التي كانت مستعارة من كل الحقول إلا حقل الأدب، وبذلك أسهمت هذه الحقول الحديثة - إلى حد ما - في علمنة الأدب.

لذلك ألفينا اليوم تراجعا بينا عن القيم والخصائص الجمالية التي كان يطلقها النقد الكلاسيكي على الخطاب الأدبي من منظور انطباعي، سطحي منذ عرفت مناهج الدراسات الغربية الحديثة والمعاصرة الانتشار في العالم عن طريق الترجمات.

فعلى الرغم من النتائج التي حققتها مختلف الدراسات والمناهج الكلاسيكية في تفسير النصوص الأدبية وتحليلها في ضوء سياقاتها المختلفة، الاجتماعية التاريخية والنفسية، فإنها لا تخرج عادة عن التفسير التعليلي، ومحاولة البحث عن الأصول التي انبثقت عنها النصوص الإبداعية، دون مقاربة النص ذاته، ولذلك عجزت عن تحليل بنيات الأثر الأدبي ودلالاته العميقة، واكتفت في أغلب الأحيان بوصف المظهر النصي السطحي وملابساته التاريخية والسياسية.

إن هذه الثورة العلمية التي طبعت الخطاب النقدي الحداثي، كانت منذ نشأتها تحويل مادة الأدب إلى حقل مستقل، له عناصره واقعه الذاتية كاللغة والعلامة والوحدات الصغرى والكبرى... وهي الثورة التي

قادها "دي سوسير" عندما دعا إلى ضرورة تغيير مجرى الدرس اللغوي وإقامة علم جديد مستقل لدراسة اللغة، يقوم على دعائم لسانية، بعيداً عن الأفكار والفلسفة والمجتمع، في كتابه "دروس في اللسانيات العامة" "1916" الذي تضمن المبادئ العامة والأساسية لهذا العلم، أهمها تمييزه بين اللغة (اللسان) والكلام.

- يقول نور الدين السد:

« إن البحث جدية أكثر في الظاهرة الأدبية، بدأ في السنوات الأخيرة مع جملة من الباحثين الأسلوبيين واللسانيين والشعريين والبنيويين و السيميائيين الذين حاولوا عالمنة دراسة الخطاب الأدبي، وظل هذا النشاط المعرفي متصل الحلقات في العقود الأخيرة، وخاصة في ميدان المناهج النقدية الحديثة »[2]

ولكن مضارعة بداية ظهور هذا العلم الجديد عند "دي سوسير" بجهود المدرسة الشكلانية الروسية "1914م - 1930م" التي دعت إلى الاهتمام بالعلاقات الداخلية للنص الأدبي، واستبعدت علاقته بالفلسفة والتاريخ والمجتمع، وبذلك لم يهتم الشكلانيون على عكس سابقيهم بالأدب كمفهوم عام، بل نادوا أولا بضرورة ميلاد علم جديد للأدب هو "البويطيقا" و موضوع هذا العلم ليس الأدب كمفهوم عائم ولكن أدبية الأدب التي تمثل جوهر الخطاب الأدبي، وبناءً على ذلك فقد طورت البنيوية بعض الأفكار والفروض التي جاء بها الشكلانيون.

- يقول رومان جاكبسون:

« إن موضوع العلم الأدبي ليس هو الأدب، ولكنها الأدبية، أي ما يجعل من عمل ما عملاً أدبيًا »[3]

- ثم يؤكد "بوريس إخنباوم" بالقول:

« لقد اعتبرنا ولا نزال نعتبر أن الشرط الأساسي لموضوع العلم الأدبي يجب أن يكون دراسة الخصائص النوعية للموضوعات الأدبية، التي تميزها عن كل مادة أخرى »[4]

وبذلك تم تحديد موضوع العلم الأدبي، بالانتقال من الأدب بمعناه الواسع والعمل الأدبي، وغيرها من المصطلحات غير الدقيقة في كتابات القرن 19م إلى الخطاب الأدبي بوصفه موضوع البويطيقا.

- يعرّف "جيرار جينيت" البويطيقا بالقول:

* إنّها النظرية العامة للأشكال الأدبية ؟

- والشكل الأدبي هنا ليس له الخصائص النوعية للأدب وهذه الخصائص لا يمكن البحث عنها إلا من خلال الخطاب.

- يقول "تودوروف":

* ليس العمل الأدبي في ذاته هو موضوع البويطيقا، إن ما تبحث عنه البويطيقا هو خصائص هذا الكتاب الخاص الذي هو الخطاب الأدبي ؟

- يدعو "تودوروف" إلى استعمال الخطاب الأدبي محل الأدب أو العمل الأدبي.

إذن: ما هو الخطاب؟

ثم: ما هو الخطاب الأدبي؟ وما هو الخطاب الشعري؟

- للتوسع أكثر: نور الدين السّد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، دراسة في النقد العربي الحديث.

مرحان بدري الحربي: الأسلوبية في النقد العربي الحديث، دراسة في تحليل الخطاب.